

## بصر من حديد!

---

بقلم: عصام مختار

«النصر عادة.. كذلك الهزيمة للأسف»

فينيس لومباردي

-----

وكانها كانت دعوة مستجابة؛ ليس بينها وبين السماء حجاب، كنت حينها أشرب قهوتي في مكتبي مُحاطًا بأذرع كثير من القدرة والطمأنينة؛ أمنيح وأمنيح في مملكتي الناجحة.. أو هكذا ظننت!

لعله الملل من التعود ورتابة الأيام حتى في تحدياتها، فالتاجر مشكلاته معروفة، وما قد يواجه في معترك السوق والسعي، وكنت محصنًا جيدًا فيما بدا لي آنذاك من كل هذا، فلم أكن عملاقًا يُحسد ولا قزمًا يُحتقر! ببساطة، كان كل شيء على ما يرام!

لم يكن ذلك مغرّبًا في عمق نفسي وعقلي؛ كنت وكأني أبحث عن تحدٍّ يجعلني أرى الأمور أكثر -إن صح التعبير- إثارة!

حتى أن البعض ممن كانوا حولي وَمَصُوبًا بلا رجعة، كانوا يحذرونني من شر أفكاري وما أنا به منادٍ! «انت بتتبطر على نعمة ربنا؟!»

ربنا!

هنا يكمن السؤال والجواب في آن! لم أكن من العتاة ولا من أولئك الساهين.. ولم أكن أيضًا حيًّا كما ينبغي ويجب!

لم أكن منادياً بفقر ولا بمحنة، ولكنني أردت أن أرى وجهًا آخر لرحمة ربي وكونه وصور تصاريفه جل وعلا!

وعكفت أدعوه صادقًا أن يرزقني صدق المعرفة بجلاله، وصدق المعرفة يكلف كثيرًا!

وها أنا ذا بعد تلك الدعوات المستجابة التي مر عليها قرابة الأعوام الثلاثة تحقق عندي اليقين الراسخ في أنه يرى؛ قريب.. مجيب...

رأيته فيما بدا للبعض أنه نقمة وخسارة في حين بدا لي كبعث جديد، كانت حاجتي لنصر حقيقي هي الزاد والدافع، فما ترثه شيء، وما ترثه وتحافظ عليه شيء، وما تصنعه بكلتا يديك شيء آخر مختلف!

رأيته في تحولي من حارس إلى صاحب حرفة، يتقن كيف يخلق من العدم فُرصًا، ويلتحف من خذلان الأحبة ورفاق السمعة رداءً للاعتماد على ذاته والتصبر بمعية الله!

رأيته في الضيق مرارًا، فضعفنا يوحدنا مع القوة المطلقة، فنلجأ ونلتجئ مرارًا على غير عادتنا، فنرى وجه الحقيقة في قدرتنا على فعل ما هو أكثر من مجرد الرضا بحياة استُخلفنا فيها لنعمر ونُبهر ونبتكر!

كنت في طمأنينتي الغابرة تلك محسودًا مغبوطًا على رؤيا ضبابية ومفهوم مشوه للستر والرضا والمنح!!

وها أنا ذا أنعم ببصر من حديد، وأمن لا يساوره خوف؛ أبتعد كثيرًا عن حدود أرض الهزيمة، وأعتاد النصر يوميًا، بعيدًا عن أعين الحاسدين أو المعجبين.. فقلما يلحظ الناس أنك ترى الله!!